اقامة اسرائيل العام ١٩٤٨؛ فالواقع ان الدعم الذي قدّمه الكرملين الى هذا المشروع داخل الامم المتحدة، وفي ساحة المعارك العسكرية التي خاضها جيش المستوطنين الصهيونيين خلال تلك الحقبة، لم يكن، في حينه، أمراً مستغرباً، وذلك ليس فقط بالنسبة الى الاعتبارات الأيديولوجية التي كُيِّفت، على الدوام، بما يتلاءم مع توجّهات الدبلوماسية السوفياتية، بل وأيضاً بالنسبة الى المصالح السوفياتية الاستراتيجية في المنطقة.

فمن الناحية الايديولوجية، وجد دعم المشروع الصهيوني مبرّرة لدى الزعامة الستالينية القائمة آنذاك في قناعة رأت ان «المبادىء الاشتراكية التي تطبّق في المستوطنات اليهودية، وماضي القادة اليهود الذين انخرطوا في احزاب شيوعية اوروبية شرقية، أو عملوا الى جانبها، ورغبة التحديث لديهم، كل ذلك قد يجعل من اسرائيل جزيرة حداثة تقدّم نموذجاً ثورياً في الشرق الاوسط ذي البنية المتخلّفة»[١]. وذكر بعض المصادر، في هذا الصدد، ان جوزف ستالين ادرج اسرائيل، خلال تلك المرحلة، ضمن خطط الطوارىء السوفياتية كـ «ديمقراطية شعبية» يمكن ان تضع امكاناتها في خدمة القوات السوفياتية، في حال وقوع حرب عالمية جديدة. وأشار بعض الباحثين، أيضاً، الى ان ستالين لم يكن الشخص الوحيد الذي فكّر في امكان ان تصبح اسرائيل قاعدة ديمقراطية شعبية «وانما كان هناك تيّار قوي داخل الولايات المتحدة يرجّح ان اسرائيل ستصبح دولة بولشفية، وان الخطر الأحمر سيفتك بها»[٢]. وقد لخّص نائب قوميساري الشؤون الخارجية في الاتحاد السوفياتي آنذاك، ايفان مايسكي، صورة أوضاع الشرق الاوسط في نظر موسكو، حين أعلن، خلال زيارة قام بها للمستعمرات الصهيونية في فلسطين العام ١٩٤٣، انه «يجب ان يكون واضحاً ان اليهود التقدميين في فلسطين سيحظون بتأييدنا المتزايد أكثر من العرب المتخلّفين الذين يحكمهم الملوك الاقطاعيون»[٣]. وهكذا، فقد وضع «المستوطن اليهودي الاوروبي التقدمي» في مواجهة الممالك العربية الاقطاعية المتخلّفة. وفي هذه المواجهة، اختارت موسكو، طبعاً، الوقوف الى جانب المستوطن «التقدمي». لكن المهمّ في الأمر ان قسمة «الرجعي» و«التقدمي» هذه كانت تتقاطع، بقوة، مع قسمة أخرى لم تكن تستجيب لاعتبارات الايديولوجيا قدر استجابتها لظروف الموقف الدولي وحسابات الدبلوماسية السوفياتية. فـ «الاقطاعي العربي» كان في الوقت عينه ـ حسب تقديرات موسكو ـ حليفاً، أو عميلاً، لمصالح الاستعمار الغربي، وخصوصاً للاستعمار البريطاني. ومن هنا، فقد وجد قادة الكرملين في ظهور اسرائيل صفعة شديدة للنفوذ البريطاني وللقيادات العربية المتحالفة معه، وذلك ظناً منهم ـ كما لاحظ دان هوروفيتس ـ بأن «خلق الدولة اليهودية بقوميتها المتطرّفة سيؤدي الى ازالة الاستعمار البريطاني، أكثر ممّا تؤديه الدولة العربية الموحّدة»[٤].

واذا كان الاستنتاج الذي يمكن ان ننتهي اليه من تفحّص الاعتبارات التي حكمت موقف الكرملين ازاء مشروع انشاء اسرائيل هو ان دعم موسكو لهذا المشروع لم يكن نابعاً من تعاطفها الايديولوجي مع الصهيونية قدر ما كان يرجع الى رغبتها في طرد البريطانيين من الجوار المتاخم لحدود الاتحاد السوفياتي الجنوبية، فان أبعاد هذا الموقف اتضحت، بصورة مجسّمة، في اثناء المناقشات التي أجرتها الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة حول القضية الفلسطينية العام ١٩٤٧، حيث وقفت وفود الاتحاد السوفياتي وأوكرانيا وبيلوروسيا، في بداية المناقشات، الى جانب اقتراح تقدّمت به دول اسلامية وعربية عدّة، وكان يدعو الى انهاء الانتداب البريطاني ومنح فلسطين استقلالها الكامل ضمن دولة واحدة يتمتّع فيها العرب واليهود بحقوق متساوية. وعندما شعرت الوفود السوفياتية بأن الجوّ السائد في الجمعية العامة يميل الى رفض هذا الاقتراح، نقلت ثقلها لتقلي به وراء مشروع